

يوم الشهيد الشيوعي يوم شهداء الشعب!

في فجر 14 و15 شباط من عام 1949 أقدمت السلطة الملكية على اعدام قادة الحزب الشيوعي العراقي يوسف سلمان يوسف (فهد) -سكرتير الحزب-، وعضوي المكتب السياسي زكي محمد بسيم (حازم) وحسين الشيخ محمد الشبيبي (صارم) واعدم معهما يهودا صديق شيوعي قيادي. لقد أعادت السلطة الملكية محاكمة قادة الحزب (سكرتيره -فهد- ورفيقيه عضوي المكتب السياسي -صارم وحازم-) بحجة قيادة الحزب من معتقلهم في سجن الكوت. وصدر قرار حكم الاعدام عليهما يوم 10 شباط 1949. ودفع خوف السلطة الملكية من الإدانة العالمية وضغط الرأي العام العراقي والدولي لإلغاء هذه الأحكام الجائرة والتي تتنافى مع مبادئ حقوق الإنسان فسارعت في تنفيذ الحكم بعد اربعة أيام من صدوره ودون الاعلان عنه إلا بعد تنفيذ الأحكام!

نقد الطغاة الاعدام بسكرتير الحزب الشهيد يوسف سلمان يوسف (فهد) فجر 14 شباط في ساحة المتحف، كذلك نفذ الاعدام فجر نفس اليوم بعضو المكتب السياسي الشهيد زكي محمد بسيم (حازم) في الباب الشرقي. وفجر 15 شباط نفذ الاعدام بالشهيد عضو المكتب السياسي حسين الشيخ محمد الشبيبي (صارم) في باب المعظم، وكذلك بالشهيد يهودا صديق.

لقد أخفت حكومة نوري السعيد خبر تنفيذ حكم الإعدام وأحاطته بسرية تامة. ماعدا عائلة الشهيد حسين الشبيبي (صارم) حصلت على فرصة لمقابلة الشهيد دون أن تعرف أن هذا اللقاء هو الأخير وإن ساعة اللقاء هذه هي من الساعات الأخيرة المعودة من حياة الشهيد! وكتب والدي -شقيق الشهيد الأكبر- في مذكراته عن ذلك:

[أمي لم تهتد إلى مكان احتجازه إلا ليلة إعدامه! لكنهم أعلموا ابن عمها الشيخ باقر الشبيبي تلفونياً قبل ظهر يوم الاثنين 14 شباط بعبارة مقتضبة: إن كان له أحد يريد مواجهته، فليتوجه إلى الموقف العسكري في أبي غريب!. وسارعت والدته تصحبها زوجته وأمها لمقابلته. أخذ يملئ على سمعها وصيته. قولي للشيخ محمد رضا الشبيبي، ولأبي، ليس لديهم ما يدينونني به غير شهادة سافل واحد [1]! صاح الضابط الذي يجلس خلف منضدة، يسجل ما ينطق به هو أو من يقابله: رجاء لا تتعرض لأي موضوع غير أن تودع أمك!. ردّ عليه الشهيد: لا بأس أصدرنا حكماً آخر بالإعدام! فصاحت الأم يا ويلتاه! لكنه طالبها بالصبر، وأستمر: جاؤني بمعهم من شاكلتهم، لأشهد على يديه (أن لا اله إلا الله وان محمداً رسول الله.. الخ) فطرده، إني من بيت رجاله أهل دين وأدب، لا حاجة لي بمثلك. صاح الضابط ثانية يعترض. وأكمل: أقيموا لي فاتحة! لم تعد أمنا تعي من الأمر شيئاً وهي تشهد السلاسل تربط يديه إلى الأرض. وانتهت الدقائق العشر المخصصة لزيارته، وعادت إلى بيت ابن عمها. لم تغمض لها عين، حتى إذا أشرقت الشمس، رن جرس التلفون يعلن للشيخ: أن تهيأوا لاستلام جثمانه!

هل استلموه؟ كلا! الشرطة وضعوه بسياراتهم، أرغموا العائلة أن تسلك من بغداد إلى كربلاء، وتوجهوا هم به إلى طريق الحلة!. ودفن عند حلول الظلام، وأرسلوا من يدلهم على القبر! لقد ودع الشعر بآخر قصيدة "تحية أيار" منذراً عبید الاستعمار بقوله:

سننسف أركان ما شيديوا فلا العبد يبقى ولا السيد

حسبه، وحسبنا، إننا لم ولن نتراجع أو نتخاذل أمام عسفهم واضطهادهم. وإننا نفخر إننا قدمناه قربانا من أجل الوطن والشعب المضطهد المغلوب على أمره. ورحت أرتيه أمام أبي وهو ينشج، ويقول: سميته يا أبا عبد الله باسمك، وها هو قد لقي الشهادة صابراً محتسباً.)

ارتقى الأبطال البواسل منصة الإعدام وهم يهتفون متحدين جلاديهم العملاء. فالشهيد فهد هتف متحديا الجلادين بمقولته الخالدة (الشيوعية أقوى من الموت وأعلى من أعواد المشانق)، بينما خاطب الشهيد حازم جلاديه بقوله (لو عدت للحياة مرة ثانية لما اخترت غير هذا الطريق)، أما الشهيد حسين الشيببي (صارم) وحسب ما رواه أخ الشهيد الأصغر (محمد علي) فقد شاهد إعدام شقيقه بعينيه، حيث أقام ليلة إعدامه في بيت رفاق مطلقاً على ساحة باب المعظم، وسمعه وهو يتقدم بخطى متزنة نحو المشنقة، ينشد مطلع قصيدة أستاذه الجواهري:

أتعلم أم أنت لا تعلم بأن جراح الضحايا فم

ولما اعتلى المشنقة قال ما معناه:

من المناسبة الطيبة إن منصة الإعدام نصبت لي في ذات المكان الذي كنت أثير منه المظاهرات الوطنية! رثى والدي (شقيق الشهيد حسين) بعدة قصائد. وكانت قصيدته (أحباءنا) الأولى بتاريخ 17 شباط 1949 وهو يحتضن والده المنكوب وينشد مرتجلاً أبياتها. وأدناه هذه القصيدة (أحباءنا):

أحباءنا

لنلقاكم وأستنزف الوجد ما فينا
به فوق عرش النصر يزهو رياحيننا
يجلجل في الآفاق للحق يدعونا
ولابد للثارات يوماً توافينا
* * *

فإن الوفاء الحر يحسبه ديننا
ومارستموا درب الكفاح أفانينا
وقد أوغلت بالفتك فينا أعادينا
بأن على سوح الجهاد أمانينا
لذك حصون البغي بالوعي تحدونا
يشع على الدنيا لكشف مآسينا
* * *

فقد كنتموا فوقاً وما كنتموا دوناً
وعانقتموها يا أباة ميامينا
ويرشدنا أن لا تسالم أيادينا
وبث الشبق والبؤس في أرض واديننا
* * *

أحباءنا طالث علينا ليالينا
رجونا لكم عمراً مديداً نراكموا
صداكم بهذا الجو مازال داوينا
لشئت يد الباغي عليكم سطا بها
* * *

علينا لكم دين سنوفيه في غد
مشيتم أمام الركب أخلص قادة
أذل الغزاة الطامعون بلادنا
فأشرق نور الفجر منكم مبشراً
ورحتم تشدون الصفوف لبعضها
وهال العدى ما أنتمو فيه من حجى
* * *

لئن رفعوكم في المشانق عالياً
وكنتم عليها كالنجوم تألقن
والقيتموا درساً يعلمنا الإبا
عدواً أبى إلا التمادي بغيه
* * *

فخرنا بكم حتى كأنّ مصابكم
نعم: حيث يوم الظلم أصبح دانيا
وإن عبيد العجل قد حان حينهم

تباشير فجر لاح للمستضامينا
ومن ذلك الاستعمار أصبح مجنونا
فهاجوا. فساداً في البلاد يعيثونا

*
سيخضّر عود النصر من عزماتكم
ويجني الثمار الشعب بعد إفتقاره
ونعلي تماثيلاً لكم وسط سوحها

*
ويُعشّب وادينا وتزهو مراعيانا¹¹
ويسحق بالرجلين تلك الثعابيننا
تفوح حواشيها اقاحا ونسرينا

*
عليّ عزيز يا حسين بأن أرى
وأنت الذي مازال للعين ماثلاً
أصالة رأي في صلابة ثائر

*
نوادبك النسوان أو نحن باكيانا
تزمجر يوم الروع لا تعرف اللينا
على خصمه يدري بما سوف يأتونا

*
تمنيتُ ذلك الحفل تخطبنا به
جماهير ثكلى راعها الخطبُ فجأة
أخي قم إلينا وأخطب الجمع حاشداً
أخي إن أمي لا يقدر قرارها
تسأل بالإيماء أين حُسينها
وماذا به؟ من ذا الذي قد أعاقه
وهذا أبي قد أنقل الدهر ظهره
يقارع بالصبر الخطوب تتابعته

*
لتسمعنا الآن الجماهير واعونا
وأخرسها جور العتاة المعاديننا
إذا قلت فيه الحق ردّد أميننا
تنوح كنوح الساجعات فتشجيننا
تُرى أيعود اليوم أم سوف يأتينا
وأبعده عنا فأوحش نادينا
فيا بؤسه شيخاً وقد جاز سبعينا
فتتلى بغضن الوجه منه عناوينا

*
فدأ لك يا من مُتّ أشرف ميتة
فدأ لك من يقوى بإضعاف شعبه
ومن كان ذا فكر يباع ويشترى
ومن باع للجانيين أسرار حزبه
سيبقى لك الذكر الجميل مخلداً

*
وأرفعها من فاق بالظلم فرعوننا
وينعم في ظل الغزاة المُذلينا
وذا قلم في حبره السُم يسقينا
كأن له ثأراً عليه يقاضينا
على رغم من باعوا الضمان والدينا



الشهيد حسين الشيببي (صارم) عندما
كان طالبا في كلية الحقوق /بغداد



سجن الكوت 1948. على اليمين سكرتير الحزب
الشيوعي الشهيد يوسف سلمان يوسف (فهد) مكبلا
على يساره عضو المكتب السياسي الشهيد حسين
الشيخ محمد الشيببي (صارم)



الشهيد حسين الشيخ محمد
الشيببي (صارم) 1949-1917



الشهيد حسين الشيببي (صارم) بريشة الفنان
رفيق أطيّمش



الشهيد حسين الشيخ محمد الشبيبي (صارم) (16 سنة) في أول شبابه
وقد خط بقلمه خلف الصورة تاريخها 27 نيسان 1933 مع التوقيع



سجن الكوت 1948. سكرتير الحزب الشيوعي العراقي الشهيد يوسف
سلمان يوسف (فهد) مكبلًا، على يمينه عضو المكتب السياسي الشهيد
زكي محمد بسيم (حازم)



1945 الموقف العام/ بغداد. الواقف الثالث من اليسار الشهيد حسين الشيخ محمد الشيببي (صارم) والثالث من اليمين الشاعر محمد مهدي الجواهري خلال زيارة وفد الصحفيين الديمقراطيين للشهيد حسين أثناء اعتقاله.



سجن الكوت 1947. مجموعة من السجناء الشيوعيين والديمقراطيين بينهم قادة الحزب الشيوعي العراقي الواقفون: الأول من اليمين الشهيد حسين الشيببي (صارم)، والثالث من اليمين الشهيد زكي محمد بسيم (حازم)، والخامس من اليسار سكرتير الحزب الشيوعي الشهيد يوسف سلمان يوسف (فهد)



جنسية الشهيد حسين الشيخ محمد الشيببي (صارم) / تولد 1917



جنسية الشهيد حسين الشيخ محمد الشيببي (صارم) / تولد 1917